البحث الخامس

الترجيح بمكتشفات العلم التجريبي في التفسير

دكتور/ عبد السلام بن صالح بن سليمان الجار الله
أستاذ الدراسات القرآنية المشارك بكلية التربية
جامعة الملك سعود بالرياض- المملكة العربية السعودية

ملخص البحث

الأدلة والمرجحات التي يلجأ إليها المفسر في الترجيح بين الأقوال متنوعة، فقد يستدل بالقرآن الكريم أو السنة أو اللغة العربية أو القواعد العامة ونحوها.

ومن المرجحات التي يلجأ إليها بعض الناس توظيف مكتشفات العلم التجريبي قرينةً ترجيحيةً بين أقوال المفسرين المختلفة في معاني الآيات، وتأتي مشكلة البحث من قيام بعض الناس – بدافع الحماس – باستخدام الاكتشافات التجريبية دليلاً أو قرينة يرجح بها بين أقوال المفسرين، ويقدمها – أحياناً – على المرجحات الأخرى، وقد تكون أقوى منها، وقد يكون القول الذي يرجحه بالمكتشفات التجريبية ضعيفاً أو شاذاً.

والبحث يهدف إلى بيان منزلة الترجيح بالمكتشفات التجريبية بين المرجحات الأخرى، والأمور المؤثرة في قوة الترجيح به أو ضعفه.

وقد تناول الباحث أربعة قضايا:

- التفاوت بين المرجحات في التفسير.
- نوع الترجيح بمكتشفات العلم التجريبي.
- الترجيح بمكتشفات العلم التجريبي عند المتقدمين.
- الأمور المؤثرة في الترجيح بمكتشفات العلم التجريبي.
- بعض صور الترجيح بمكتشفات العلم التجريبي المقبولة والمردودة.

ويأمل الباحث أن يسهم البحث – ولو بجزء يسير – في ضبط مسيرة الإعجاز العلمي وتفسير الكتاب العزيز بمكتشفات العلم التجريبي.

الكلمات المفتاحية: تفسير القرآن، قواعد الترجيح، إعجاز القرآن، الإعجاز العلمي، التفسير العلمي، العلم التجريبي.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين؛ نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

مما ينبغي للمفسر حين تعدد الأقوال واختلاف الآراء حول معنى آية الاجتهاد في المقارنة بينها وتمييز صحيحها من سقيمها، طلباً لإصابة الحق، وقد يحتاج للوصول إلى ما يعتقد صوابه إلى أدلة ومرجحات يعزز بها اختياره.

والأدلة والمرجحات التي يلجأ إليها المفسر في الترجيح بين الأقوال متنوعة، فقد يستدل بالقرآن الكريم، وقد يستدل بالسنة، أو اللغة العربية، أو القواعد العامة ونحوها.

ومما عُني به بعض المعاصرين في الترجيح بين معاني القرآن الكريم ما يتصل بالإعجاز العلمي والاكتشافات التجريبية الحديثة مما وقع في القرآن الكريم الإشارة إليه، وقد أصبحت الاكتشافات العلمية لدى بعض الناس دليلاً يُحتكم إليه في بيان صحة معنىً من المعاني أو ضعفه.

وقد رغبت في دراسة هذه القضية؛ إذ لم أجد حسب علمي من أفرد هذه القضية بخصوصها في بحث مستقل(١)، ودعاني للحديث عنها الأمور الآتية:

١ – ارتباطها بكتاب الله تعالى وتفسيره.

٢ – كون العناية بالترجيح بمكتشفات العلم التجريبي من الأمور المستجدة المعاصرة.

(١) للدكتور صالح يحي صواب بحث بعنوان: أثر الاكتشافات العلمية في تفسير القرآن الكريم؛ تناول فيه الجانب التطبيقي بذكر الأثر والأمثلة التطبيقية عليه، مثل: أثر الاكتشافات العلمية في ترجيح بعض أقول المفسرين في معنى الآية أو توضيحها، أو إضافتها قولاً جديداً لم يذكره المفسرون، لكنه لم يتطرق للجوانب النظرية التأصيلية التي تتناولها هذه الدراسة والمتعلقة بالترجيح بالمكتشفات التجريبية، فلم يتناول تفاوت الترجيح بالمكتشفات التجريبية والأمور المؤثرة فيه قوة وضعفاً، ولم يتطرق لنوع الترجيح بالمكتشفات العلمية.

٣ – يدفع الحماس الشديد بعض المشتغلين بالإعجاز العلمي إلى تبني بعض الآراء الشاذة والضعيفة في معنى الآية، والاحتجاج لها بالمكتشفات التجريبية وتقديمها على سائر المرجحات، وقد يكون احتجاجه ضعيفاً لأسباب يرد ذكرها في البحث إن شاء الله تعالى.

٤ – الإسهام – ولو بجزء يسير – في ضبط مسيرة الإعجاز العلمي وتفسير الكتاب العزيز بالمكتشفات التجريبية.

مشكلة البحث:

يستخدم بعض الناس الاكتشافات التجريبية دليلاً أو قرينة يرجح بها بين أقوال المفسرين، ويقدمها – أحياناً – على المرجحات الأخرى، وقد تكون أقوى منها، والبحث يكشف عن ذلك؛ ويبين مدى قوة هذا المرجح أو ضعفه، ومنزلته بين المرجحات.

هدف البحث:

بيان منزلة الترجيح بالمكتشفات التجريبية بين المرجحات الأخرى، والأمور المؤثرة في قوة الترجيح به أو ضعفه.

منهج البحث:

سأتبع المنهج الاستقرائي التحليلي حسب المباحث الآتية:

المبحث الأول: التفاوت بين المرجحات في التفسير.

المبحث الثاني: نوع الترجيح بمكتشفات العلم التجريبي.

المبحث الثالث: الترجيح بمكتشفات العلم التجريبي عند المتقدمين.

المبحث الرابع: الأمور المؤثرة في الترجيح بمكتشفات العلم التجريبي.

المبحث الخامس: من صور الترجيح بمكتشفات العلم التجريبي.

وقد عززت هذه المباحث بالأمثلة والشواهد التوضيحية، ثم ختمت البحث بأهم النتائج والتوصيات.

والله ولي التوفيق

المبحث الأول

التفاوت بين المرجحات في التفسير

تتفاوت الأدلة التي يستدل بها المفسر على صحة معنى من المعاني، فبعضها أقوى من بعض، بل إن الدليل الواحد يتفاوت في نفسه، من حيث صحته وصراحته في الدلالة على معنى الآية، وهذا التفاوت يرجع إلى ما احتف به من القرائن التي تقوي الاستدلال به على معنىً من المعاني أو تضعفه، فالسنة النبوية لا ينكر أحد فضلها وقوتها في الدلالة على معنى من المعاني، لكنْ دلالتها تتفاوت بحسب صحتها وصراحتها في الدلالة على المعنى، فحين تكون صحيحة ونصاً في المعنى لا يجوز الالتفات إلى غيرها، ومن أمثلة ذلك: قول الله تعالى: ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[1]، فقد اختلف المفسرون في كيفية دخولهم الباب، والقول الذي بدلوه:

أما دخولهم الباب فقد قيل فيه: أنهم دخلوا متزحفين على أوراكهم، أو أنهم دخلوا مقنعي رؤوسهم، أو أنهم دخلوا على حروف عيونهم، أو أنهم دخلوا من قبل أستاههم.

وأما القول الذي بدلوه فقيل: أنهم قالوا: حنطة حمراء فيها شعرة، أو أنهم قالوا: حبة حنطة مثقوبة فيها شعيرة سوداء، أو أنهم قالوا: حبة في شعرة[2].

وقد فسر النبي ﷺ الآية بقوله: " قيل لبني إسرائيل: ادخلوا الباب سجداً،

(١) سورة البقرة (٥٨).

(٢) انظر الأقوال في: جامع البيان (٧١٦/١)، والنكت والعيون (١٢٦/١)، وزاد المسير (٨٥/١).

وقولوا: حطة، فدخلوا يزحفون من أستاههم، وقالوا: حبة في شعرة "[1]، والحديث صحيح صريح في بيان كيفية دخولهم والقول الذي قالوه، ولذا لا ينبغي الالتفات إلى غيره من الأقوال.

وقد يعتري الحديث النبوي ما يضعف الترجيح به، إما لضعف إسناده أو ضعف دلالته:

أما ضعف الإسناد فقد يكون الحديث نصاً في تفسير الآية، لكن لا يعتمد عليه في الترجيح لعدم صحة سنده عن النبي ﷺ، ومن أمثلته أن المفسرين اختلفوا في المراد بالذبيح في قول الله تعالى: ٱلْعَٰلَمِينَ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ بِرَبِّ [2].

هل هو إسحاق أو إسماعيل ؟، وقد ورد حديث عن النبي ﷺ أنه إسحاق، لكن منع الترجيح به عدم صحته، ولما ساق ابن كثير الخلاف في تعيين الذبيح، وذكر قول من قال: إنه إسحاق عقب بقوله: " وقد ورد في ذلك حديث لو ثبت لقلنا به على الرأس والعين، ولكن لم يصح سنده "[3].

ولذا يتكرر عند المفسرين تعليق ترجيح بعض الأقوال على صحة الحديث الوارد فيه[4].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب ٱلْعَٰلَمِينَ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ بِرَبِّ (٥/١٤٨).

(٢) سورة الصافات (١٠١-١٠٢).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٦/٢٨)، وقال في البداية والنهاية (١/٣٦٧): " وقد قال بأنه إسحاق طائفة كثيرة من السلف وغيرهم، وإنما أخذوه - والله أعلم - من كعب الأحبار، أو صحف أهل الكتاب، وليس في ذلك حديث صحيح عن المعصوم حتى نترك لأجله ظاهر الكتاب العزيز، ولا يفهم هذا من القرآن، بل المفهوم بل المنطوق بل النص عند التأمل على أنه إسماعيل ".

(٤) انظر مثلاً: جامع البيان (٢٢/٧٨)، والبحر المحيط (٢/٣٦٦ ، ٤/٣٧٢ ، ٥/١٦٩ ، ٢٠٥ ، ٤٦٧)، وتفسير ابن كثير (٦/٢٨٧)، ونظم الدرر (٢١/٢٩١-٢٩٢).

وأما ضعف دلالة الحديث على معنى الآية؛ فمن أمثلته أن المفسرين اختلفوا في المراد بالصدقات في قول الله تعالى: ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ بِرَبِّ﴾ (١).

هل هي الصدقات المفروضة أو صدقات التطوع ؟؛ على قولين، وقد قوى ابن عطية القول الثاني مستدلاً بحديث: " إن أفضل الصلاة صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة "(٢)، بناءً على أن الحث على صلاة النافلة في البيت لأجل البعد عن الرياء والسمعة، وقد نص على ذلك بقوله: "وذلك أن الفرائض لا يدخلها رياء والنوافل عرضة لذلك "(٣).

غير أن هذا الحديث في بيان فضيلة صلاة النافلة في البيت، والآية في الصدقات، وأيضاً فالعلة في الحث على صلاة النافلة في البيت محتملة، فتحتمل البعد عن الرياء، وتحتمل حلول البركة في البيت ونزول الرحمة فيه ونفرة الشيطان منه، ولذلك تشرع الصلاة في البيت ولو أمن الرياء(٤).

ومع هذه الاحتمالات فالحديث لا يقوى على ترجيح تخصيص عموم الآية بصدقات التطوع.

قال ابن كثير: " الآية عامة في أن إخفاء الصدقة أفضل، سواء كانت مفروضة أو مندوبة "(٥).

وتأمل التفاوت بين الترجيح بهذا الحديث والحديث السابق في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي ٱلْعَٰلَمِينَ بِرَبِّ﴾.

(١) سورة البقرة (٢٧١).
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الأذان، باب صلاة الليل (١٧٨/١) من حديث زيد بن ثابت س.
(٣) المحرر الوجيز (٨٠/٢).
(٤) فتح الباري (٢١٦/٢).
(٥) تفسير القرآن العظيم (٤٧٨/١).

وبهذا يتبين أن المرجح الواحد يتفاوت الترجيح به قوة وضعفاً بحسب ما احتف به من قرائن.

وهذا التفاوت في الترجيح بالسنة بمعزل عن فضلها ومنزلتها مما لا جدال فيه، وإنما حصل التفاوت بمؤثرات أخرى.

وهذه الأمور المذكورة في تفاوت الترجيح بالسنة تسري على الترجيح بالقرآن الكريم، مع استبعاد مسألة الثبوت، إذ القرآن قطعي الثبوت، لكنّ الترجيح به يتفاوت بتفاوت دلالته.

وقد ذكر الأصوليون التفاوت بين دلالات النصوص، وقدموا بعضها على بعض، فقدموا دلالة النص على دلالة الظاهر، ودلالة الإيماء(١).

وقدموا ما دل بمفهوم الموافقة على ما دل بمفهوم المخالفة(٢).

وقدموا دلالة الاقتضاء على دلالة الإشارة؛ لأنها أولى لترجحها بقصد المتكلم لها بخلاف دلالة الإشارة(٣).

---

(١) انظر: البحر المحيط للزركشي (٢٢٩/٦) ، والنص هو ما يفيد بنفسه من غير احتمال كقوله تعالى: ٱلْعَٰلَمِينَ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ بِرَبِّ [البقرة: ١٩٦] ، وقيل: هو الصريح في معناه ، والظاهر هو ما يسبق إلى الفهم منه عند الإطلاق معنى مع تجويز غيره ، أو هو ما احتمل معنيين هو في أحدهما أظهر ، وحكمه أن يصار إلى معناه الظاهر ، ولا يجوز تركه إلا بتأويل، ودلالة الإيماء لا تكون إلا على علة الحكم خاصة ؛ بأن يذكر وصف مقترن بحكم في نص من نصوص الشرع على وجه لو لم يكن ذلك الوصف علة لذلك الحكم لكان الكلام معيباً ، انظر: المستصفى (٣٨٤/١) ، وروضة الناظر (٥٦٠/٢-٥٦٤) ، ومذكرة في أصول الفقه للشنقيطي (ص٢٣٦).

(٢) انظر: الإحكام للآمدي (٢٥٣/٤) ، وشرح الكوكب المنير (٦٧١/٤) ، وإرشاد الفحول (ص ٢٧٩) ، ومذكرة في أصول الفقه (ص٣٢٦).

(٣) الإحكام للآمدي (٢٥٣/٤)، وإرشاد الفحول (ص٢٧٩)، ودلالة الاقتضاء لا تكون إلا على محذوف دل المقام عليه، وتقديره لا بد منه ؛ لأن الكلام دونه لا يستقيم لتوقف الصدق أو الصحة عليه ، وأما دلالة الإشارة فهي دلالة اللفظ على معنى ليس مقصوداً باللفظ في الأصل، ولكنه لازم للمقصود، فكأنه مقصود بالتبع لا بالأصل، كدلالة قوله: ٱلْعَٰلَمِينَ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ بِرَبِّ الآية [سورة البقرة ١٨٧] على صحة صوم من أصبح جنباً، انظر: الإحكام للآمدي (٦٤/٣-٦٥)، ومذكرة في أصول الفقه للشنقيطي (ص٢٣٥).

وقدموا دلالة المطابقة على دلالة الالتزام لأنها أضبط[1].

وجاء في كلام العلماء ما يؤكد تفاوت المرجحات من خلال حديثهم عن أفضل طرق التفسير، قال ابن تيمية: " فإن قال قائل: فما أحسن طرق التفسير؟، فالجواب: إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أُجْمِلَ في مكان فإنه قد فُسِّرَ في موضع آخر، وما اخْتُصِر من مكان فقد بُسِطَ في موضع آخر، فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة، فإنها شارحة للقرآن وموضحة له "[2].

وهذا مشروط بصحة التفسير، لأنه قد يعتري التفسير ما يضعفه، وقد ذكر العلماء ضوابط وشروطا لتفسير القرآن الكريم.

وإذا كان هذا التفاوت يقع في المرجحات من الكتاب والسنة فوقوعه في غيرهما من باب أولى كالترجيح باللغة العربية ونحوها.

وإنما قدمنا بهذه المقدمة المهمة لندرك أن المرجحات في التفسير تتفاوت، فبعضها أقوى من بعض، وأن المرجح الواحد يتفاوت الترجيح به بحسب ما احتف به من القرائن.

(١) الإحكام للآمدي (٤/٢٥٣).

(٢) مقدمة في أصول التفسير ضمن مجموع الفتاوى (١٣/٣٦٣).

المبحث الثاني
نوع الترجيح بمكتشفات العلم التجريبي

معرفة نوع الترجيح بالمكتشفات التجريبية من الأهمية بمكان؛ فهو يبين لنا منزلته ودرجته بين المرجحات في التفسير.

وعند التأمل في هذا النوع من المرجحات يظهر لنا دخوله ضمن الأدلة العقلية والتفسير بالرأي.

وتطبيقات التفسير التي تندرج تحت المكتشفات التجريبية مشتركة بين الاستدلال بالعقل والاستدلال بالحس والمشاهدة؛ ذلك أن العلوم التجريبية قائمة على التجارب الحسية في الطبيعة ومشاهداتها، ومبنية على النظر والتأمل في مخلوقات الله ، ثم استخلاص القوانين والوصول إلى الحقائق(١)، وقد ضرب الغزالي لذلك مثلاً بالشمس فمعرفة كونها أكبر من الأرض إنما يكون بأدلة هندسية تبنى على مقدمات حسية(٢).

والاستدلال بالحس والمشاهدة له أصل في الشريعة وأدلته كثيرة:

فقد جاء في آيات كثيرة الاستدلال بالواقع والحس والمشاهدة على البعث والنشور، وشواهده من القرآن الكريم أكثر من أن تحصى، قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ۝٦ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ إلى قوله:

(١) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة ، د أحمد مختار (٣٥٧/١) ، والإسلام والعلم التجريبي ، للسويدي (ص١٤) ، والاستقراء والمنهج العلمي لزيدان (ص٤٤).
(٢) المستصفى (٤٦/١).
(٣) سورة السجدة (٢٧).

ٱلْعَٰلَمِينَ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ بِرَبِّ (١).

وفي جانب آخر حثت آيات كثيرة على النظر في ملكوت السموات والأرض وجعلته دليلاً على ربوبية الخالق واستحقاقه العبادة وحده، قال الله تعالى: ٱلْعَٰلَمِينَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ بِرَبِّ (٢).

وقال تعالى: ٱلْعَٰلَمِينَ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ بِرَبِّ (٣).

وقال تعالى: ٱلْعَٰلَمِينَ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ بِرَبِّ (٤)، قال الشنقيطي: " ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أنه جل وعلا هو الذي يري خلقه آياته، أي: الكونية القدرية؛ ليجعلها علامات لهم على ربوبيته، واستحقاقه العبادة وحده، ومن تلك الآيات الليل والنهار والشمس والقمر؛ كما قال تعالى: ٱلْعَٰلَمِينَ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِرَبِّ الآية(٥)، ومنها السماوات والأرضون، وما فيهما والنجوم، والرياح والسحاب، والبحار والأنهار، والعيون والجبال والأشجار وآثار قوم هلكوا، كما قال تعالى: ٱلْعَٰلَمِينَ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ

(١) سورة ق (٦-١١).
(٢) سورة لقمان (١٠-١١).
(٣) سورة يونس (٣١-٣٢).
(٤) سورة غافر (١٣).
(٥) سورة فصلت (٣٧).

وَٱلنَّهَارِ بِرَبِّ إلى قوله: ٱلْعَٰلَمِينَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ بِرَبِّ [1] ..... وما ذكره جل وعلا في آية المؤمن هذه، من أنه هو الذي يري خلقه آياته، بينه وزاده إيضاحاً في غير هذا الموضع، فبين أنه يريهم آياته في الآفاق وفي أنفسهم، وأن مراده بذلك البيان أن يتبين لهم أن ما جاء به محمدﷺ حق، كما قال تعالى: ٱلْعَٰلَمِينَ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ بِرَبِّ [2].

والآفاق جمع أفق وهو الناحية، والله جل وعلا قد بين من غرائب صنعه وعجائبه في نواحي سمواته وأرضه، ما يتبين به لكل عاقل أنه هو الرب المعبود وحده، كما أشرنا إليه: من الشمس والقمر والنجوم والأشجار والجبال، والدواب والبحار، إلى غير ذلك "[3].

وهذا الأخير الذي ذكره الشنقيطي هو المتعلق بالمكتشفات التجريبية والاستدلال عليها بالقرآن الكريم، وهي داخلة ضمن الحس والمشاهدة كما سيأتي تفصيله.

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية دليل الحس إضافة إلى دليل العقل والنقل ضمن المدارك الثلاثة التي قد يحصل للشخص بها علم يقطع به، وأن العلم الحاصل بها قد يكون ضرورياً في حق بعض الناس[4].

ولدليل الحس تطبيقات عند الأصوليين، فقد جعلوه من الأدلة التي يُخصص بها العموم، ومثلوا له بقوله تعالى: ٱلْعَٰلَمِينَ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ بِرَبِّ

(١) سورة البقرة (١٦٤).
(٢) سورة فصلت آية (٥٣).
(٣) أضواء البيان (٧/٨٠-٨١).
(٤) الاستقامة (١/٢٩).

(١)، قالوا: وما كان في يد سليمان لم يكن في يدها، وهو شيء، وقوله: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ (٢)، خرج منه السماء والأرض وأمور كثيرة بالحس(٣).

والاستدلال بالواقع والحس والمشاهدة له مدخل في فهم الكتاب العزيز وتفسيره، وقد عُني به المفسرون عند بيانهم معاني القرآن الكريم، واستخدمه السلف ومن بعدهم في سبر الأقوال التفسيرية ونقدها، ومن أمثلته: قول الله تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ (٤)، فقد جاء عن بعض التابعين كأبي العالية وابن جبير تفسير السيما بالتراب الذي يبقى في جبهة المرء بعد السجود(٥).

وقد يظن بعض الناس أن المراد بالسيما ما يرى في جباه بعض الناس من كثرة السجود، ونسب القول به إلى بعض السلف(٦).

وقد أنكر بعض السلف هذا المعنى الأخير، واستدلوا على ضعفه بالواقع:

فقد سأل منصور مجاهداً عن هذه الآية، فقال: هو الخشوع، فقال له منصور: هو أثر السجود ؟، فقال: إنه يكون بين عينيه مثل ركبة العنز ، وهو كما شاء الله(٧).

وفي رواية أخرى أن منصوراً قال له: ما كنت أراه إلا هذا الأثر في

(١) سورة النمل (٢٣).
(٢) سورة الأحقاف (٢٥).
(٣) المستصفى (٩٩/٢)، وروضة الناظر (٧٢٢/٢).
(٤) سورة الفتح من الآية (٢٩).
(٥) انظر: جامع البيان (٣٢٥/٢١)، ومعالم التنزيل (٣٢٤/٧) ، وزاد المسير (٤٤٦/٧).
(٦) فتح القدير (٥٦/٥).
(٧) جامع البيان (٣٢٤/٢١) ، والسنن الكبرى للبيهقي (٢٨٧/٢).

الوجه ، فقال: ربما كان بين عيني من هو أقسى قلباً من فرعون(١).

وجاء رجل إلى السائب بن يزيد وفي وجهه أثر السجود، فقال: لقد أفسد هذا وجهه ، أما والله ما هي السيما التي سمّاها الله ، ولقد صليت على وجهي ثمانين سنة ما أثَّر السجود بين عينيّ(٢).

وفي قول الله تعالى: ٱلْعَٰلَمِينَ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ فِي (٣) اختلف المفسرون المفسرون في المراد على بأسفل سافلين على قولين:

الأول: أن المراد الهرم وأرذل العمر.

والثاني: أن المراد به النار، وقد رجح كثير من المفسرين القول الثاني – وهو الصحيح – واستبعدوا القول الأول، وقد ذكر ابن القيم عشرة أوجه لاستبعاده؛ الثامن منها: " أن أرباب القول الأول مضطرون إلى مخالفة الحس، وإخراج الكلام عن ظاهره، والتكلف البعيد له، فإنهم إن قالوا: إن الذي يُردُّ إلى أرذل العمر هم الكفار دون المؤمنين، كابروا الحسَّ، وإن قالوا: إن من النوعين من يرد إلى أرذل العمر احتاجوا إلى التكلف لصحة الاستثناء، فمنهم من قدر ذلك بأن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لا تبطل اعمالهم إذا رُدوا إلى أرذل العمر، بل تجري عليهم أعمالهم التي كانوا يعملونها في الصحة، فهذا وإن كان حقاً فإن الاستثناء إنما وقع من الرد؛ لا من الأجر والعمل، ولما علم أرباب هذا القول ما فيه من التكلف خص بعضهم الذين آمنوا وعملوا الصالحات بقراء القرآن خاصة، فقالوا: من قرأ القرآن لا يرد إلى

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٤٢/٧) وعزاه لابن أبي حاتم. الروايات التفسيرية في فتح الباري (٢/ ١٠٨٤) و فتح الباري ٥٨٢/٨.أخرجه ابن المبارك في الزهد ص ٥٦ عن سفيان وزائدة، به بلفظ "قال: هو الخشوع". وأخرجه ابن حجر في تغليق التعليق ٣١٤/٤ بسنده إلى ابن المبارك، به.

(٢) المعجم الكبير للطبراني (١٥٨/٧) ، والسنن الكبرى للبيهقي (٢٨٧/٢) ، والدر المنثور (٨٢/٦).

(٣) سورة التين (٥).

أرذل العمر، وهذا ضعيف من وجهين: أحدهما: أن الاستثناء عام في المؤمنين قارئهم وأميهم، الثاني: أنه لا دليل على ما ادعوه، وهذا لا يعلم بالحس، ولا خبر يجب التسليم له يقتضيه، والله أعلم "[1].

ومما يشهد لعلاقة المكتشفات التجريبية والإعجاز العلمي بالحس والمشاهدة أننا نجد المفسرين يربطون الآيات التي تدخل ضمن مباحث الإعجاز العلمي بالحس والمشاهدة:

قال ابن القيم: " وقد أخبر سبحانه أنه بسط السحاب في السماء بقوله: ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ [2]، والسحاب إنما هو مبسوط في جهة العلو، لا في نفس الفلك، وهذا معلوم بالحس، فلا يلتفت إلى غيره "[3].

وقال ابن كثير: " وقوله تعالى: أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا [4]، أي واحدة فوق واحدة، وهل هذا يتلقى من جهة السمع فقط، أو هو من الأمور المدركة بالحس مما علم من التسيير والكسوفات؟، فإن الكواكب السبعة السيارة يكسف بعضها بعضاً فأدناها القمر في السماء الدنيا.... "[5].

ولما جاء السعدي إلى تفسير قول الله تعالى: ٱلْعَٰلَمِينَ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ [6] ، قال: " واعلم أن تسطيحها لا ينافي أنها كرة مستديرة، قد أحاطت الأفلاك فيها من جميع جوانبها، كما دل على ذلك النقل والعقل

(١) التبيان في أيمان القرآن (ص٧٥-٧٦).
(٢) سورة الروم (٤٨).
(٣) بدائع الفوائد (١/٢٠٥-٢٠٦).
(٤) سورة نوح (١٥).
(٥) تفسير القرآن العظيم (٨/٢٦٠).
(٦) سورة الغاشية (٢٠).

والحس والمشاهدة، كما هو مذكور معروف عند أكثر الناس، خصوصاً في هذه الأزمنة، التي وقف الناس على أكثر أرجائها بما أعطاهم الله من الأسباب المقربة للبعيد، فإن التسطيح إنما ينافي كروية الجسم الصغير جداً، الذي لو سطح لم يبق له استدارة تذكر، وأما جسم الأرض الذي هو في غاية الكبر والسعة، فيكون كروياً مسطحاً، ولا يتنافى الأمران، كما يعرف ذلك أرباب الخبرة "[1].

وحينما فسر ابن عثيمين قول الله تعالى: ٱلۡعَٰلَمِينَ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ بِرَبِّ ، قال: " وقد استدل بعض العلماء بهذه الاية على أن الأرض ليست كروية بل سطح ممتد، لكنْ هذا الاستدلال فيه نظر، لأن هناك آيات تدل على أن الأرض كروية، والواقع شاهد بذلك، فيقول الله عز وجل: ٱلۡعَٰلَمِينَ يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ بِرَبِّ [2]، والتكوير التدوير، ومعلوم أن الليل والنهار يتعاقبان على الأرض، فإذا كانا مكورين لزم أن تكون الأرض مكورة "[3].

ومع ظهور العلاقة بين المكتشفات التجريبية وبين الحس والمشاهدة، وكون الحس كما تقدم مصدر مهم من مصادر المعرفة إلا أنه يتفاوت؛ وبخاصة في العلوم التجريبية الدقيقة، وهو ما سنتحدث عنه بالتفصيل في المبحث الرابع – إن شاء الله – عند الكلام عن الأمور المؤثرة في الترجيح بالمكتشفات التجريبية.

(١) تيسير الكريم المنان (ص٩٢٢-٩٢٣).
(٢) سورة الزمر (٥).
(٣) تفسير القرآن الكريم (جزء عم) (١٨٣).

المبحث الثالث

الترجيح بمكتشفات العلم التجريبي عند المتقدمين

يشترك المعاصرون – من حيث الأصل – مع المتقدمين في البحوث التجريبية بدليل الاتفاق بينهم في البحوث التجريبية مما يتعلق بالسماء والأرض والأنفس، إلا أنه لدى المعاصرين من أدوات البحوث التجريبية ومخترعاتها التي تساعدهم على مزيد من الاكتشافات ما ليس عند المتقدمين الذين اقتصر بحثهم على ما توفر لديهم من الأدوات، ولا نبعد إن قلنا إن كثيراً من العلوم التجريبية التي تحدثوا عنها أضحت عند المتأخرين من البدهيات.

وبناء على هذا فقد قرر بعض العلماء المتقدمين التفسير العلمي من حيث المبدأ، وممن قرره الغزالي والسيوطي، فقد قررا اشتمال القرآن الكريم على العلوم الكونية والطبيعية ودلالته عليها بطريق الإشارة؛ مستدلين بالآيات التي أكدت تفصيل القرآن لكل شيء؛ كقوله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [1]، وقوله: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [2].

وقول ابن مسعود ﷺ : مَنْ أَرَادَ الْعِلْمَ فَلْيُثَوِّرِ الْقُرْآنُ، فَإِنَّ فِيهِ عِلْمَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ.

– وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: مَنْ أَرَادَ الْعِلْمَ فَلْيُثَوِّرِ الْقُرْآنُ، فَإِنَّ فِيهِ عِلْمَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ [3].

---

(١) سورة الأنعام (٣٨).

(٢) سورة النحل (٨٩).

(٣) فضائل القرآن لأبي عبيد (٢٧٦/١) و مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٧/ ١٦٥) وقال الهيثمي : رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ بِأَسَانِيدَ، وَرِجَالُ أَحَدِهَا رِجَالُ الصَّحِيحِ.

يقول الغزالي: " ظهر لنا بالبصيرة الواضحة التي لا يُتمارى فيها أن في الإمكان والقوة أصنافاً من العلوم بعد لم تخرج من الوجود، وإن كان في قوة الآدمي الوصول إليها، وعلوم كانت قد خرجت من الوجود واندرست الآن ..... ثم هذه العلوم ما عددنا وما لم نعددها، ليست أوائلها خارجة من القرآن، فإن جميعها مغترفة من بحر واحد من بحار معرفة الله تعالى "(١).

وهذا الذي قرره الغزالي ووافقه عليه آخرون خالفهم فيه آخرون وعارضوهم بأدلة أخرى لا تقل قوة عن أدلتهم، وهي قضية احتدم فيها الخلاف وتشعب، وطال فيها الجدل قديماً وحديثاً(٢).

والذي يعنينا في هذا المقام معرفة جذور الترجيح بمكتشفات العلم التجريبي، وأن بعضاً من العلماء المتقدمين ممن لم يروا بأساً بالتفسير العلمي للآيات القرآنية استخدموه قرينةً ترجيحية، ومن هؤلاء الفخر الرازي في مواطن من تفسيره:

فعند قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾ (٣)، قال: " ولقائل أن يقول: الدم واللبن لا يتولدان البتة في الكرش، والدليل عليه الحس فإن هذه الحيوانات تذبح ذبحاً متوالياً، وما رأى أحد في كرشها لا دماً ولا لبناً، ولو كان تولد الدم واللبن في الكرش لوجب أن يشاهد ذلك في بعض الأحوال، والشيء الذي دلت المشاهدة على فساده لم يجز المصير إليه، بل الحق أن الحيوان إذا تناول الغذاء وصل

(١) انظر: إحياء علوم الدين (٢٩٠/١)، وجواهر القرآن (ص٤٤)،وانظر: الإتقان للسيوطي (١٦٠/٢-١٦٦)، ومعترك الأقران (١٢/١).

(٢) انظر في الخلاف فيها: التفسير بمكتشفات العلم التجريبي بين المؤيدين والمعارضين، محمد الشايع (٢٥-٤٠)، والتفسير العلمي بين النظريات والتطبيق، هند شلبي (٢٠-٧٨).

(٣) سورة النحل (٦٦).

ذلك العلف إلى معدته إن كان إنسانا، وإلى كرشه إن كان من الأنعام وغيرها، فإذا طبخ وحصل الهضم الأول فيه فما كان منه صافيا انجذب إلى الكبد، وما كان كثيفا نزل إلى الأمعاء، ثم ذلك الذي يحصل منه في الكبد ينطبخ فيها، ويصير دماً، وذلك هو الهضم الثاني ..... إذا عرفت هذا فنقول: المفسرون قالوا: المراد من قوله: من بين فرث ودم هو أن هذه الثلاثة تتولد في موضع واحد، فالفرث يكون في أسفل الكرش، والدم يكون في أعلاه، واللبن يكون في الوسط، وقد دللنا على أن هذا القول على خلاف الحس والتجربة، ولأن الدم لو كان يتولد في أعلى المعدة والكرش كان يجب إذا قاء أن يقيء الدم وذلك باطل قطعا. وأما نحن فنقول: المراد من الآية هو أن اللبن إنما يتولد من بعض أجزاء الدم، والدم إنما يتولد من الأجزاء اللطيفة التي في الفرث "[1]، وسيأتي مزيد كلام حول هذه الآية.

وفي قول الله تعالى: ٱلْعَٰلَمِينَ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ بِرَبِّ [2] ذكر في معنى اختلاف الليل والنهار قولين: الأول: تعاقبهما في الذهاب والمجيء، والثاني: اختلاف الليل والنهار في الطول والقصر والنور والظلمة والزيادة والنقصان قال الكسائي: يقال لكل شيئين اختلفا هما خلفا، ثم رجح معنى ثالثاً مستدلاً له بالعلم التجريبي، فقال: " وعندي فيه وجه ثالث ، وهو أن الليل والنهار كما يختلفان بالطول والقصر في الأزمنة، فهما يختلفان بالأمكنة، فإن عند من يقول: الأرض كرة فكل ساعة عينتها، فتلك الساعة في موضع من الأرض صبح، وفي موضع آخر ظهر، وفي موضع ثالث عصر، وفي رابع مغرب، وفي خامس عشاء، وهلم جرا؛ هذا إذا اعتبرنا البلاد المخالفة في الأطوال،

(١) التفسير الكبير (٧/٢٣٢-٢٣٣).
(٢) سورة البقرة (١٦٤).

أما البلاد المختلفة بالعرض، فكل بلد تكون عرضه الشمالي أكثر كانت أيامه الصيفية أطول، ولياليه الصيفية أقصر، وأيامه الشتوية بالضد من ذلك، فهذه الأحوال المختلفة في الأيام والليالي بحسب اختلاف أطوال البلدان وعرضها أمر مختلف عجيب "[1].

وقد قرر الرازي كروية الأرض في مواطن أخرى من تفسيره، فقال: " ثبت بالدلائل أن الأرض كرة فكيف يمكن المكابرة فيه؟! "[2].

وهذا الذي قرره الرازي فيما يتعلق باختلاف الليل والنهار بحسب الأمكنة لا يتعارض مع القولين الآخرين، فهو وجه من وجوه الاختلاف المذكور في الآية أثبتته المخترعات الحديثة بجلاء.

وفي قول الله تعالى: ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ بِرَبِّ [3]، اختلف المفسرون في عمر يوسف حين بلغ أشده على أقوال؛ منها: أن عمره حينئذٍ ثلاث وثلاثون سنة، وقيل: ثماني عشرة سنة، وقيل: أربعون سنة، وقيل: بلوغ الحلم، وقيل غير ذلك[4].

وقد ساق ابن جرير الأقوال وذكر احتمال الآية لها[5]، أما الرازي فقد رجح القول الأول، وذكر أنه " شديد الانطباق على القوانين الطبية، وذلك لأن الأطباء قالوا: إن الإنسان يحدث في أول الأمر، ويتزايد كل يوم شيئاً فشيئاً إلى أن ينتهي إلى غاية الكمال، ثم يأخذ في التراجع والانتقاص إلى أن لا يبقى منه شيء، فكانت حالته شبيهة بحال القمر، فإنه يظهر هلالاً ضعيفاً ثم

(١) التفسير الكبير (١٦٥/٢-١٦٦).
(٢) التفسير الكبير (٥/٧)، وانظر (٢٦٥/٥) من الكتاب نفسه، والتفسير العلمي للقرآن الكريم لهند شلبي (١٠٥-١٠٧).
(٣) سورة يوسف (٢٢).
(٤) انظر الأقوال في: جامع البيان (٦٧/١٣)، وزاد المسير (٢٠٠/٤).
(٥) جامع البيان (٦٨/١٣).

لا يزال يزداد إلى أن يصير بدراً تاماً، ثم يتراجع إلى أن ينتهي إلى العدم والمحاق "[1].

ورجح قوله ابن عطية وقال: " هو أظهر الأقوال فيما نحسبه "[2]، وحكى ابن عرفة في تفسيره[3]: اتفاق الأطباء على أن بدن الآدمي لا يزال فيه النمو والزيادة إلى أن يبلغ ستة وثلاثين سنة.

(١) التفسير الكبير (٤٣٦/٦)، وانظر ترجيحاً آخر في (٤٨٠/٤).
(٢) المحرر الوجيز (٦٣/٥).
(٣) تفسير ابن عرفة (٣٨٠/٢-٣٨١).

المبحث الرابع

الأمور المؤثرة في الترجيح بمكتشفات العلم التجريبي

يمكن تقسيم الأمور المؤثرة في الترجيح بمكتشفات العلم التجريبي إلى قسمين:

القسم الأول: **عوامل مؤثرة في المكتشفات التجريبية**.

تقدم أن تفسير القرآن بمكتشفات العلم التجريبي يدخل ضمن التفسير بالعقل والحس والمشاهدة، وهذا الحس والمشاهدة يختلف ظهوره للناس من شخص لآخر، فقد يكون لدى بعض الناس ظاهراً ومن المسلمات، وقد يكون خفياً لأكثر الناس، ولا يدركه إلا العلماء المتخصصون كلٌ في مجاله، فيكون من الغيب النسبي.

وهذا التفاوت يرجع – والله أعلم – لأمرين:

الأول: أن الاكتشافات العلمية مبناها على التجربة، وهي مبنية على النظر والتأمل في مخلوقات الله، فبعضها يدرك بالنظر المجرد، وبعضها يحتاج لإدراكه إلى آلات ومخترعات دقيقة لا تتأتى إلا للمتخصصين، وقد يُبنى على ذلك عمليات ذهنية وحسابية معقدة لاستنتاج القوانين والحقائق العلمية، ومن هنا ذكر بعض العلماء أن كثيراً من المكتشفات التي تذكر في الإعجاز العلمي أمور غير محسوسة(١).

الثاني: أن نظر العلماء للاكتشافات التجريبية يقع فيه التفاوت بحسب تفاوت علومهم وأفهامهم.

وقد أشار ابن عاشور إلى قضية التفاوت في الإعجاز العلمي، فقال: " وأما النوع الثاني من إعجازه العلمي فهو ينقسم إلى قسمين: قسم يكفي لإدراكه فهمه وسمعه، وقسم يحتاج إدراك وجه إعجازه إلى العلم بقواعد العلوم

(١) الإعجاز العلمي إلى أين (ص ٩٧).

فينبلج للناس شيئاً فشيئاً انبلاج أضواء الفجر على حسب مبالغ الفهوم وتطورات العلوم، وكلا القسمين دليل على أنه من عند الله لأنه جاء به أمي في موضع لم يعالج أهله دقائق العلوم، والجائي به ثاو بينهم لم يفارقهم، وقد أشار القرآن إلى هذه الجهة من الإعجاز بقوله تعالى: ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [1]، ثم إنه ما كان قصاراه مشاركة أهل العلوم في علومهم الحاضرة، حتى ارتقى إلى ما لم يألفوه وتجاوز ما درسوه وألفوه "[2].

ويقول القطان: " يخطئ كثير من الناس حين يحرصون على أن يتضمن القرآن الكريم كل نظرية علمية، وكلما ظهرت نظرية جديدة التمسوا لها محملاً في آية يتأولونها بما يوافق هذه النظرية، ومنشأ الخطأ في هذا أنَّ العلوم تتجدد نظرياتها مع الزمن تبعًا لسنة التقدم، فلا تزال في نقص دائم يكتنفه الغموض أحيانًا، والخطأ أحيانًا أخرى، وتستمر هكذا حتى تقرب من الصواب، وتصل إلى درجة اليقين، وأي نظرية منها تبدأ بالتخمين وتخضع للتجربة حتى يثبت يقينها، أو يتضح زيفها وخطؤها، ولهذا كانت عرضة للتبديل، وكثير من القواعد العلمية التي ظن الناس أنها أصبحت من المسلمات تتزعزع بعد ثبوت، وتتقوض بعد رسوخ، ثم يستأنف الباحثون تجاربهم فيها مرة أخرى "[3].

وما ذكره ابن عاشور والقطان من ظهور العلوم للناس شيئاً فشيئاً أمر ظاهر، فكم من المكتشفات أنكرها الناس أول ظهورها ونفروا منها ولم يصدقوه، وعدوها من قبيل أعمال السحرة والمشعوذين، ومن تلاعب الجن

(١) سورة القصص: [٤٩- ٥٠].
(٢) التحرير والتنوير (١٢٧/١).
(٣) مباحث في علوم القرآن (ص٢٦٢).

بالناس، ثم ما لبثت أن أضحت شيئاً مألوفاً بعد أن عرفوا سرها وكيف اخترعت والأسباب المادية التي أخذ بها العلماء فبرعوا في اكتشافها واختراعها، وهذا لون من التفاوت الذي يكون في المكتشفات التجريبية، تبدو أول اكتشافها غير مدركة لكثير من الناس، حتى إذا اطلعوا على سرها وتقنيتها ألفوها وصارت أمراً عادياً.

ومن مظاهر التفاوت في المكتشفات التجريبية أن بعض القضايا التي ذكرها القرآن الكريم مما يمكن تصنيفه ضمن العلوم التجريبية – من حيث الأصل – لا يمكن دفعه بحال لوضوحه، ولذا نجد من يقف معارضاً تفسير القرآن بالمكتشفات التجريبية يسلم ببعض القضايا التجريبية التي ذكرها القرآن، ومرد ذلك – والله أعلم –وضوحها(١).

وقد تقدم النقل عن بعض المفسرين كابن القيم وابن كثير ومن بعدهما تفسيرهم بعض الظواهر الكونية التي ذكرها القرآن، وهي تشترك مع المكتشفات التجريبية الحديثة من حيث الأصل إلا أن إدراكها أظهر وأوضح.

ونظراً لهذا التفاوت الذي يقع في العلوم التجريبية نجد كثيراً من الباحثين يشترطون لتفسير القرآن الكريم بالقضايا التجريبية أن تكون تلك القضايا حقائق علمية وليست نظرية، ومرد ذلك وضوح الحقائق العلمية وظهورها بخلاف النظريات التي لا تزال محل تردد وشك، وهذا الأمر يكاد يطبق عليه من تكلم في قضايا الإعجاز العلمي وتفسير القرآن به، وهم يؤكدون دوما استحالة " التصادم بين الحقائق القرآنية وبين الحقائق العلمية لأنهما من مشكاة واحدة، وينبغي أن يكون من المسلّمات في أذهاننا أن الحقائق القرآنية المتعلقة بأيّ جانب من جوانب الكون أو الإنسان والحيوان والنبات– إذا كانت قطعية الدلالة– لا يمكن أن تصادمها حقيقة علمية توصّل الجهد البشري إليها بناء على جهود المختصين خلال التاريخ الحضاري للبشرية،

(١) التفسير العلمي بين النظريات والتطبيق (ص٤٤).

وما يثيره بعض الناس من توهم بوجود تناقض فهو سوء فهم للحقيقة القرآنية بأن يتوهمها قطعية الدلالة ولا تكون كذلك، أو سوء فهم للحقيقة العلمية بأن يظنها حقيقة علمية وهي لا تزال في طور النظرية "[1].

وتأكيداً لقضية الانطلاق من الحقائق العلمية في تفسير القرآن دون النظريات فإنه " ينبغي عدم ذكر النظريات ولو من باب الاستئناس بها، لأن ربط نظرية قابلة للتغيّر والإبطال بتفسير آية قرآنية يورث شعوراً معيناً لدى القراء، وفي حال ظهور بطلان هذه النظرية فلن يسلم الفهم الخاص بالآية من تشويش واهتزاز، وكلام الله سبحانه وتعالى منزه عن أن يطرأ عليه مثل ذلك "[2].

القسم الثاني: عوامل مؤثرة في دلالة الآية على المكتشف التجريبي.

من أهم الأمور المؤثرة في دلالة الآية على المكتشف التجريبي استيفاؤها لشروط التفسير الصحيح، فإن العلماء اجتهدوا في وضع القواعد والضوابط المعينة على فهم القرآن وتفسيره تفسيراً صحيحاً، والأخذ بهذه القواعد والضوابط عند النظر في اختلاف المفسرين في معاني الآيات كفيل – بإذن الله – بالوصول إلى المعاني الصحيحة.

وتفسير القرآن الكريم بمكتشفات العلم التجريبي غير مستثنى من هذه القواعد والضوابط، ومن اعتقد أن المكتشفات التجريبية حَكَم على هذه القواعد أو بعضها فهو مخطئ، مثل من قال: إن فهم القرآن الكريم في ضوء البحث العلمي ألصق بالمعنى من الفهم في ضور اللغة وحدها، وأن الكلمة يتفاوت مدلولها بتفاوت الزمن[3].

(١) مباحث في إعجاز القرآن، د. مصطفى مسلم (ص١٧٤-١٧٥)، وانظر: مباحث في علوم القرآن للقطان (ص٢٦٢)، والضوابط الشرعية للاكتشافات الجديدة ودلالتها في القرآن، د. راشد شهوان (ص١٤١).

(٢) مباحث في إعجاز القرآن، د. مصطفى مسلم (صص١٧٣)، وانظر: مناهل العرفان للزرقاني (٣٥٦/١-٣٥٧)، وفي ظلال القرآن (١٨٢/١).

(٣) التفسير العلمي للآيات الكونية، بكر عوض (ص٤٩٦).

يقول الزمخشري: " وترى كثيراً ممن يتعاطى هذا العلم يجترئ إذا أعضل عليه تخريج وجه للمشكل من كلام اللَّه على اختراع لغة وادعاء على العرب ما لا تعرفه، وهذه جرأة يستعاذ باللَّه منها "(١).

ويقول ابن القيم عند ذكره لأنواع التأويل الباطل: " الرابع: ما لم يؤلف استعماله في ذلك المعنى في لغة المخاطب، وإن ألف في الاصطلاح الحادث، وهذا موضع زلت فيه أقدام كثير من الناس، وضلت فيه أفهامهم، حيث تأولوا كثيراً من ألفاظ النصوص بما لم يؤلف استعمال اللفظ له في لغة العرب البتة، وإن كان معهوداً في اصطلاح المتأخرين، وهذا مما ينبغي التنبه له، فإنه حصل بسببه من الكذب على الله ورسوله ما حصل "(٢).

ومن أمثلته: الذرة في قول الله تعالى: ٱلْعَٰلَمِينَ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا بِرَبِّ (٣)، فقد اختلف المفسرون في معناها على أقوال؛ منها: النملة الصغيرة، أو ذرة التراب، أو الهباءة، أو الخردلة(٤).

لكنها تعني في اصطلاح الكيميائيين أصغر جزء من العنصر الكيميائي الذي يحتفظ بالخصائص الكيميائية لذلك العنصر، وتتكون من جسيمات ذرية: البروتونات، الإلكترونات، النيوترونات(٥)، وهذا الاصطلاح حادث غير معروف عند العرب الذي نزل القرآن بلسانهم، ولذا لا يصح تفسير الذرة الواردة في القرآن بها(٦).

(١) الكشاف (٣٧١/١).
(٢) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (١٨٩/١).
(٣) سورة النساء (٤٠).
(٤) انظرها في: البسيط للواحدي (٥١٤/٦)، وزاد المسير (٨٤/٢).
(٥) انظر: الكيمياء العامة، المفاهيم الأساسية (٢٨).
(٦) انظر الإعجاز العلمي إلى أين (ص٩٠).

ومما يتعلق بهذه القضية أن دلالة الآيات على المكتشفات التجريبية إن صحت لا تعدو – في الغالب – إشارات لطيفة عابرة، وعليه فليس من الصواب الزج بتلك الإشارات وتحميلها فوق ما تحتمله ووضعها موضع السباق مع البحوث العلمية(١).

وبناءً على هذا فإذا تعارضت هذه الدلالات مع الدلالات القوية كدلالة النص ودلالة الظاهر ونحوهما فإنها تقدم عليها.

ومن الأمور المهمة عند النظر في الترجيح بالمكتشفات التجريبية أن تأييد العلم التجريبي لمعنى من معاني الآية لا يعني بالضرورة تضعيف المعاني الأخرى وإسقاطها، ومن أمثلته:

قول الله تعالى: ٱلْعَٰلَمِينَ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ بِرَبِّ (٢)، فقد ذكر المفسرون في معنى المسجور عدة أقوال، منها:

الأول: المملوء، وجاء عن قتادة، ورجحه ابن جرير وابن عاشور

الثاني: الموقد، وجاء عن علي ومجاهد وابن زيد.

الثالث: الممنوع، وجاء عن ابن عباس والسدي، والمعنى أنه مكفوف عن الأرض لئلا يغمرها فيغرق أهلها.

الرابع: اليابس(٣).

وقد رجح ابن جرير القول الأول، وقال: " وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: معناه: والبحر المملوء المجموع ماؤه بعضه في بعض، وذلك أن الأغلب من معاني السجر: الإيقاد، كما يقال: سجرت التنور، بمعنى: أوقدت، أو الامتلاء على ما .... فإذا كان ذلك الأغلب من معاني

---

(١) العلوم البيولوجية في خدمة تفسير القرآن (ص٧١).

(٢) سورة الطور (٦).

(٣) انظر الأقوال في: جامع البيان (٥٦٧/٢١)، وزاد المسير (٤٧/٨)، وتفسير ابن كثير (٤٠٥/٧)، والتحرير والتنوير (٣٩/٢٧).

السجر، وكان البحر غير موقد اليوم، وكان الله تعالى ذكره قد وصفه بأنه مسجور، فبطل عنه إحدى الصفتين، وهو الإيقاد صحت الصفة الأخرى التي هي له اليوم، وهو الامتلاء، لأنه كل وقت ممتلئ "[1].

فابن جرير امتنع من ترجيح معنى الإيقاد مع كثرة دورانه في اللغة لأن البحر في نظره غير موقد، ومفاده أنه لو ثبت له لقال به.

وقد دلت الاكتشافات الحديثة وجود تصدعات أرضية في قاع البحار والمحيطات يتدفق من خلالها حمم منصهرة على امتداد مئات الأمتار، والمنظر يوحي بأن البحر يحترق حتى إن الذي يراقب هذه البراكين وحممها يحس بأنه أمام بحر مشتعل لا ينطفئ، وبسبب كثرة هذه الصهارة وارتفاع حرارتها – أكثر من ألف درجة مئوية – لا يستطيع الماء على كثرته إطفاء جذوتها الملتهبة، ولا هي تسطيع تبخير المياه، ودلت الاكتشافات على أن البراكين في قاع المحيطات أكثر عدداً وأعنف نشاطاً من البراكين على سطح اليابسة [2].

ومع دلالة الاكتشافات الحديثة على إمكانية أن تكون قيعان البحار موقدة، فإنه لا يلزم منه إبطال الأقوال الأخرى، فإن امتلاء البحار جائز يشهد له الحس والمشاهدة، وهي أيضاً ممنوعة من إغراق أهل الأرض، وهذا إذا كان المراد بالبحار في الآية البحار الموجودة في الدنيا.

أما إذا أريد بالبحار حالها يوم القيامة كما قال به بعضهم، وتكون كقوله تعالى: ٱلۡعَٰلَمِينَ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ بِرَبِّ [3]، فإنه لا مانع من حمل الآية على معانٍ

(١) جامع البيان (٢٢/٤٥٩-٤٦٠).

(٢) انظر: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة، يوسف الحاج (ص٤٥٣-٤٥٦) والإعجاز العلمي في القرآن والسنة، محمد بورباب (ص٢٧٢-٢٧٣).

(٣) سورة التكوير (٦)، وانظر: المحرر الوجيز (٨/٨٧-٨٨)، والجامع لأحكام القرآن (٧/٦٢٣١)، وتفسير ابن كثير (٧/٤٠٥).

أكثر، ويمكن الجمع بينها على أن هذه من المراحل التي تمر بها البحار في ذلك الزمان، فعبر بلفظ يدل على هذه المراحل جميعها بأن تتفجر البحار ويفيض بعضها على بعض، حتى تصير بحراً واحداً ممتلئاً، ثم توقد بالنار التي ورد في بعض الآثار أنها تحت البحر، ثم تيبس ويذهب ماؤها(١).

وكون الاكتشافات الحديثة أثبتت إمكانية أن البحار تتقد قيعانها، وهو ما نفاه بعض المتقدمين؛ فإنه لا يلزم منه أن يكون هو المعنى الوحيد للآية وأن ما عداه غير صحيح.

إن مما ينبغي أن يدركه من يريد تفسير القرآن الكريم في ضوء المكتشفات التجريبية أن الآية قد تتسع لأكثر من معنى، وأن القرآن حمال وجوه، ومن هنا ذكر العلماء اختلاف التنوع في التفسير، وهذا مما أدركه السلف وفسروا القرآن الكريم في ضوئه، وكثير من خلافهم يرجع إليه، فتعددت الأقوال عنهم في معاني الآيات على سبيل التمثيل وذكر الأنواع.....، وقد جاء عن سفيان بن عيينة قوله عن تفاسير سلفه: ليس في تفسير القرآن اختلاف، إنما هو كلام جامع يراد به هذا وهذا(٢).

إن الاعتقاد بأن إثبات دلالة الآية على مكتشفٍ ما لا يكون إلا باطراح أقوال السابقين وردها، والاقتصار على ما أثبتته التجارب الحديثة، ثم الزعم بأن سلف الأمة كانوا مخطئين في فهم القرآن الكريم، أو أن نظرتهم لتفسيره كانت ضيقة، وأنه لم تتسع المدارك ولم يكتشف معنى الآية إلا بهذا التقدم العلمي والمكتشفات الحديثة خلل منهجي وسوء فهم لطبيعة الاختلاف في فهم القرآن وتفسيره(٣).

(١) تفسير جزء عم (ص٦٦٠٦٧).
(٢) سنن سعيد بن منصور (٣١٢/٥).
(٣) انظر الإعجاز العلمي إلى أين (ص٢٦ ، ١١٣).

المبحث الخامس
من صور الترجيح بمكتشفات العلم التجريبي

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: صور مقبولة للترجيح بمكتشفات العلم التجريبي:

الصورة الأولى: تقوية أحد الأقوال في معنى الآية، ومن أمثلته أن المفسرين اختلفوا في المراد بالبنان في قول الله تعالى: ﴿أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾ [1] على قولين:

الأول: جعل أصابع يديه ورجليه شيئاً واحداً كخف البعير، أو حافر الدابة، فلا يأخذ ما يأكل إلا بفيه كسائر البهائم، وهذا القول مروي عن ابن عباس وعكرمة والحسن وقتادة وغيرهم، ونسبه البغوي وغيره للجمهور[2].

القول الثاني: بلى قادرين أن نعيد أطراف أصابعه كما كانت بعد أن تبلى، وهذا القول أظهر وأقوى بدلالة السياق كما أشار إليه ابن قتيبة وغيره:

قال ابن قتيبة: " هذا رد من الله عليهم، وذلك أنهم ظنوا أن الله لا ينشر الموتى، ولا يقدر على جمع العظام البالية، فقال: بلى، فاعلموا أنا نقدر على رد السلاميات على صغرها، ونؤلف بينها حتى يستوي البنان، ومن قدر على هذا فهو على جمع كبار العظام أقدر "[3].

وقال الزجاج: " والذي هو أشكل بجمع العظام بلى نجمعها قادرين، على تسوية بنانه على ما كانت، وإن قل عظامها وصغرت وبلغ منها البلى "[4].

وقال ابن كثير: " والظاهر من الآية أن قوله تعالى: ﴿أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ﴾ حال

---

(١) سورة القيامة (٤).

(٢) انظر: جامع البيان (٥٠/٢٤)، ومعالم التنزيل (٢٨١/٨)، وزاد المسير (٤١٧/٨)، وفتح القدير (٣٣٩/٥).

(٣) تأويل مشكل القرآن (ص٣٤٦).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٢٥١/٥).

من قوله تعالى: أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ ، أي: أيظن الإنسان أنا لا نجمع عظامه؟، بلى سنجمعها قادرين على أن نسوي بنانه "[1].

ومما يقوي هذا القول إضافةً إلى دلالة السياق ما كشفه العلم الحديث مما يتعلق بالبصمة في الأصابع، وأن الخطوط البارزة في الكفين والقدمين لا يمكن أن تتطابق عند شخصين مختلفين إطلاقاً حتى التوائم، كما أنها تبقى ثابتة منذ ولادة الشخص إلى وفاته، ولا تتغير بالمؤثرات، وفي هذا إشارة إلى قدرة الخالق على إعادة البنان بهيئته وصورته الدقيقة[2].

الصورة الثانية: أن تسهم الاكتشافات الحديثة في زيادة معنى الآية وشموليتها دون إبطال الأقوال الأخرى، ومن أمثلة ذلك:

قول الله تعالى: أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ بِرَبِّ [3]، فإن للمفسرين في المراد بالزوجين قولان:

الأول: أن المراد بهما صنفان ونوعان، فعن مجاهد قال: الكفر والإيمان، والشقاوة والسعادة، والهدى والضلالة، والليل والنهار، والسماء والأرض، والإنس والجن، وهو قول مقاتل والبغوي، ورجحه ابن جرير[4].

الثاني: أن المراد بهما الذكر والأنثى، وقال به ابن زيد وابن عاشور[5].

قال الفراء: " الزوجان من جميع الحيوان: الذكر والأنثى، ومن سوى

(١) تفسير ابن كثير (٣٠١/٨)، ومال إلى هذا الرأي أيضاً: أبو حيان في البحر المحيط (٣٧٦/٨)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٦٨٨٦/٨).

(٢) انظر: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة، يوسف الحاج (ص١٦٩-١٧٣)،الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، محمد بورباب (٩٧-١٠٠)، والتفسير العلمي للقرآن الكريم بين النظريات والتطبيق (ص١٢٠-١٤٠)، والإعجاز العلمي إلى أين (ص٨٦).

(٣) سورة الذاريات (٤٩).

(٤) انظر: جامع البيان (٤٤٠/٢٢)، والبسيط للواحدي (٤٦٢/٢٠)، ومعالم التنزيل (٣٧٩/٧).

(٥) جامع البيان (٤٤٠/٢٢)، والتحرير والتنوير (١٧/٢٧).

ذلك: اختلاف ألوان النبات، وطعوم الثمار، وبعض حلو، وبعض حامض، فذانك زوجان "[١].

وقال الواحدي: " أي: صنفين ونوعين، فالزوجان في الحيوان الذكر والأنثى، وفي غير الحيوان المختلفان باللون والطعم، فيدخل في هذا الأبيض والأسود والمر والحلو "[٢].

ويلحظ في كلام الفراء والواحدي قصر الزوجين في الحيوان على الذكر والأنثى، وفي غير الحيوان على الصنف والنوع، وعلى تفسير الزوجين بالذكر والأنثى تكون الكلية في الآية أغلبية لا مطلقة، ويبدو أن الذي حملهما على هذا التوجيه أن الذي يدركونه في وقتهم أن الازدواج ظاهر في الإنسان والحيوان، ولم يكن معروفاً في جميع أنواع النباتات ولا في الجمادات، وقد جاءت الاكتشافات الحديثة بما يفيد أن جميع النباتات وجميع المخلوقات قائمة على الزوجية[٣].

وفي ظلال القرآن[٤]: " وهذه حقيقة عجيبة تكشف عن قاعدة الخلق في هذه الأرض- وربما في هذا الكون. إذ أن التعبير لا يخصص الأرض- قاعدة الزوجية في الخلق، وهي ظاهرة في الأحياء، ولكن كلمة « ى » تشمل غير الأحياء أيضاً، والتعبير يقرر أن الأشياء كالأحياء مخلوقة على أساس الزوجية، وحين نتذكر أن هذا النص عرفه البشر منذ أربعة عشر قرناً، وأن فكرة عموم الزوجية – حتى في الأحياء- لم تكن معروفة حينذاك؛ فضلاً على عموم الزوجية في كل شيء.. حين نتذكر هذا نجدنا أمام أمر عجيب عظيم، وهو يطلعنا على الحقائق الكونية في هذه الصورة العجيبة المبكرة كل التبكير،

(١) معاني القرآن (٨٩/٣).
(٢) البسيط (٤٦٢/٢٠).
(٣) انظر: الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، محمد بورباب (ص٢٠٣-٢٠٦).
(٤) (٣٣٨٥/٦)، وانظر (٢٩٦٨/٥) من الكتاب نفسه.

كما أن هذا النص يجعلنا نرجح أن البحوث العلمية الحديثة سائرة في طريق الوصول إلى الحقيقة، وهي تكاد تقرر أن بناء الكون كله يرجع إلى الذرة. وأن الذرة مؤلفة من زوج من الكهرباء: موجب وسالب ".

ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى في الآية الأخرى: ٱلْعَٰلَمِينَ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ بِرَبِّ [(١)].

وتلحظ معي أن هذا القول لم يسقط القول الآخر، وإنما وسع معنى الآية، وأضاف أن الزوجية أعم من أن تكون في الحيوان وبعض النباتات، وإنما لتشمل جميع النباتات الجمادات أيضاً، وإنما لم يسقط القول الأول لأن مجيء الزوج بمعنى الصنف والنوع مستعمل في القرآن الكريم، كقوله تعالى: ٱلْعَٰلَمِينَ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ بِرَبِّ[(٢)]، وقوله: ٱلْعَٰلَمِينَ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ بِرَبِّ [(٣)].

الصورة الثالثة: تضعيف أحد الأقوال في معنى الآية، ويترتب عليه تقوية غيره من الأقوال[(٤)]، ومن أمثلته: قول الله تعالى: ٱلْعَٰلَمِينَ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ بِرَبِّ [(٥)]، فقد ذهب بعض

(١) سورة يس (٣٦)، وقد ذكر ابن عاشور في التحرير والتنوير (١٥/٢٣) في تفسير هذه الآية القولين: الذكر والأنثى والصنف، وعقب بقوله: " والإطلاق الأول هو الكثير كما يؤخذ من كلام الراغب، وهو الذي يناسبه نقل اللفظ من الزوج الذي يكون ثانياً لآخر، فيجوز أن يحمل للأزواج في هذه الآية على المعنى الأول، فيكون تذكيراً بخلق أصناف الحيوان الذي منه الذكر والأنثى .....".

(٢) سورة ص (٥٨).

(٣) سورة الشورى (٤٩-٥٠).

(٤) قواعد الترجيح عند لمفسرين (٣٥/١ ، ٥٥).

(٥) سورة النحل (٦٦).

المفسرين إلى أن المراد بقوله تعالى: ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا﴾ " أن الشيء الذي تأكله يكون منه ما في الكرش، وهو الفرث ويكون منه الدم، فيكون أسفله فرثاً، وأعلاه دماً، وأوسطه لبناً، فيجري الدم في العروق واللبن في الضروع، ويبقى الفرث كما هو "(١).

وقد سبق كلام الرازي حوله وتضعيفه له، وأن الدم واللبن لا يتولدان البتة في الكرش، واستدل عليه بالحس بأن هذه الحيوانات تذبح ذبحاً متوالياً، وما رأى أحد في كرشها لا دماً ولا لبناً(٢).

وما ذكره الرازي أيدته الدراسات الحديثة، فبعد هضم الطعام وتحويل المواد الغذائية المعقدة التركيب إلى مواد أبسط منها سهلة الامتصاص، وذلك عن طريق الفم والمعدات، يصل الغذاء إلى الأمعاء الدقيقة، فيمتزج بالصفراء، وعصارة البنكرياس وإفرازات الغدد المعوية، ويتحول إلى مادة لبنية معدة للامتصاص، وفي الأمعاء الدقيقة تبدأ عملية الامتصاص، وهي استخلاص الغذاء المهضوم في حالته السائلة ونقله إلى مجرى الدم واللمف، فتمتص الأمعاء الدقيقة بواسطة الخلايا الطلائية الاسطوانية معظم الغذاء المهضوم، وتقوم الشعيرات الدموية بحمل المواد السكرية والزلالية المهضومة، وتقوم اللمفاوية بحمل المواد الدهنية المهضومة، وفي الأمعاء الغليظة يتم امتصاص بواقي الغذاء والماء، فيصل ما تحمله الشعيرات الدموية إلى الكبد، فيختزن السكر، ثم يذهب إلى القلب، وتحمل الأوعية اللمفاوية الدهون إلى القناة الصدرية ثم إلى القلب، ثم يتأكسد عندما يلامس الهواء الرئتين، ثم يتوزع في الأنسجة عن طريق الشرايين الممتدة خلال

(١) فتح القدير (١٧٤/٣)، ونُسب إلى ابن عباس وفي إسناده ضعف، انظر التفسير والإعجاز العلمي في القرآن للسقا (٢٦٩/١).

(٢) وهو ما أيده ابن عادل في اللباب (١٠٤/١٢-١٠٦)، وأبو السعود في إرشاد العقل السليم (٣٧٧/٣)، والآلوسي في روح المعاني (١٧٨/١٤).

الجسم، ومن هذه الشرايين شريان كبير يسمى بالأورطة يمتد فرع منه إلى أسفل داخل الضرع، ويحيط بالضرع شرايين كبيرة من الشعيرات التي تمد أسناخ الغدة اللبنية بالدم، وتنظم إلى الأسناخ ضفائر كبيرة من الأوردة الدموية التي يتدفق من خلالها الدم بسرعة ضعيفة، كي تأمن التروية الغنية للضرع، وتتهيأ الظروف المناسبة لتكوين الحليب(١).

وبناء على هذا فالبينية في الآية لا يراد بها ما ذهب إليه أصحاب القول الأول من أن اللبن يتميع من بين طبقتي فرث ودم، وإنما الذي أوهم ذلك من توهمه حمله بين على حقيقتها من ظرف المكان(٢).

وإنما المراد أن اللبن يفرز في حالة بين حالتي الفرث والدم، فهو إذن إفراز حاصل في حين إفراز الدم وإفراز الفرث، وعلاقته بالفرث أن الدم الذي ينحدر في عروق الضرع يمر بجوار الفضلات البولية والثفلية، فتفرزه غدد الضرع لبنا كما تفرزه غدد الكليتين بولا بدون معالجة زائدة(٣).

وقد علق ابن عاشور على الإعجاز في وصف الآية لطريقة خروج اللبن من بين الفرث والدم فقال: " وهذا الوصف العجيب من معجزات القرآن العلمية، إذ هو وصف لم يكن لأحد من العرب يومئذ أن يعرف دقائق تكوينه، ولا أن يأتي على وصفه بما لو وصف به العالم الطبيعي لم يصفه بأوجز من هذا وأجمع "(٤).

المطلب الثاني: صور غير مقبولة للترجيح بمكتشفات العلم التجريبي:

الصورة الأولى: وجود معارض أقوى:

قد تفسر الآية بما يترتب عليه معارضة التفسير لما هو أقوى، ومن

(١) التفسير والإعجاز العلمي في القرآن الكريم للسقا (٢/٥٨٦ - ٥٨٧) باختصار.
(٢) التحرير والتنوير (١٤/٢٠٠).
(٣) المصدر السابق.
(٤) المصدر السابق (١٤/٢٠١).

أمثلته الأمر بالسير في الأرض، وقد ورد في القرآن في مواضع؛ منها قول الله تعالى ﴿ٱلۡعَٰلَمِينَ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ بِرَبِّ [١]، وقوله: ﴿ٱلۡعَٰلَمِينَ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ بِرَبِّ [٢]، وقوله: ﴿ٱلۡعَٰلَمِينَ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلُۚ كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّشۡرِكِينَ بِرَبِّ [٣].

والمراد بالسير في الأرض يحتمل السير بالعقول والفكر، ويحتمل السير بالأقدام[٤].

قال أبو حيان: " والظاهر أن السير المأمور به، هو الانتقال من مكان إلى مكان وأن النظر المأمور به هو نظر العين وأن الأرض هي ما قرب من بلادهم من ديار الهالكين بذنوبهم كأرض عاد ومدين ومدائن قوم لوط وثمود ..... وقال قوم: الأرض هنا عام، لأن في كل قطر منها آثاراً للهالكين وعبراً للناظرين"[٥].

وعبارات المفسرين تحوم حول هذا المعنى، وأن الأرض هي التي نسير عليها، غير أن بعض المشتغلين بالإعجاز العلمي لهم رأي آخر، فالأرض أعم من ذلك؛ إذ تشمل الغلاف الجوي المحيط بها، ونحن على قولهم: نسير في الأرض وليس على الأرض، لأن هناك غلافاً جوياً يحيط بالأرض وهو جزء منها، ونحن لا نخرج من الأرض إلا إذا خرجنا من هذا الغلاف الجوي، فالطائرات التي تطير على ارتفاعات مختلفة تطير في الأرض وليس خارج

(١) سورة الأنعام (١١).
(٢) سورة النمل (٦٩).
(٣) سورة الروم (٤٢).
(٤) معالم التنزيل (١٣٠/٣).
(٥) البحر المحيط (٨٥/٤).

الأرض، ولكن الذي يخرج من الأرض: هي سفن الفضاء التي تجاوز الغلاف الجوي للأرض، وما تحتنا أرض، وما فوقنا جزء مكمل للأرض، وهو الغلاف الجوي "[1].

وهذا التفسير فيه عدة مخالفات لما يجب أن يلتزم من أراد الترجيح بالمكتشفات التجريبية:

أولاً: أن هذا التفسير للأرض مبني على اصطلاح حادث لأهل العلم التجريبي، لم يكن معهوداً حال نزول القرآن الكريم، وقد تقدم نقل كلام ابن القيم حول ذلك.

ثانياً: أن حرف " في " الوارد في الآية يأتي بمعنى على، وهو المراد في الآية، والمعنى: سيروا على الأرض، وهذه الآية كقوله تعالى: ٱلْعَٰلَمِينَ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ بِرَبِّ [2]؛ أي: على جذوع النخل.

ثالثاً: أن هذا المعنى مخالف لما هو أصرح منه في الدلالة، قال الله تعالى: ٱلْعَٰلَمِينَ أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ بِرَبِّ [3]، والآية صريحة في أن الطير تطير في السماء، وعلى رأيه هي تطير في الأرض لأنها ضمن الغلاف الجوي، والمسافة التي تطير فيها الطيور في جو السماء قريبة جداً مقارنة بالمسافات التي تطير فيها الطائرات التي نص على أنها تطير في الأرض !!.

وهو أيضاً مخالف لقوله تعالى: ٱلْعَٰلَمِينَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا

(١) التفسير والإعجاز العلمي في القرآن الكريم، د. مرهف سقا (١/٢٢٠-٢٢١)، نقلاً عن كتاب الإشارات العلمية في القرآن بين العلم والكون والإيمان (٩٤-٩٥).
(٢) سورة طه (٧١).
(٣) سورة النحل (٧٩).

فَيَبْسُطُهُۥ فِي ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ بِرَبِّ [1]، فالآية صريحة تنبسط في السماء وهو ضمن الغلاف الجوي وليس خارجه، والمراد بالسماء في هذه الآية والآية السابقة العلو وليست الفلك كما تقدم نقله عن ابن القيم، وهي بهذا المعنى غير الأرض[2].

الصورة الثانية: أن يترتب على تفسير الآية بالمكتشفات التجريبية أمور باطلة.

ومن أمثلته تأويل معجزات الأنبياء بما دلت عليه المكتشفات التجريبية مما يجعلها أموراً عادية غير خارقة للعادة، وهذا يلزم منه إبطال المعجزات[3].

ومن أمثلته: " أن يكون المعنى المفسر به مصطلحاً حادثاً، ومن ثم فإنه لا يمت للغة العرب بصلة، وتفسير النصوص بالاصطلاح الحادث من أخطر التأويل وأشنعه؛ لأنه يبعد القرآن عن مدلوله العربي إلى مدلولات ما أنزل الله بها من سلطان "[4]، وقد تقدم المثال عليه قريباً.

وبعد..... فإنه يمكن الإفادة من البحوث التجريبية ومكتشفاتها في تقريب معاني الآيات، وتوظيفها عند النظر في أقوال المفسرين والمقارنة بينها، واستخدامها قرينة ترجيحية بعد الالتزام بضوابط المكتشفات التجريبية وتفسير القرآن بها والتي مر بعضها، وللمجتهد أن يستخدمها مع القرائن والمرجحات الأخرى؛ فيعزز بها رأيه حول المعنى الذي يراه، ومع التأكيد على جواز ذلك يبقى الإعجاز العلمي أحد أوجه إعجاز القرآن الكريم العديدة؛ ليس

(١) سورة الروم (٤٨).
(٢) وانظر كتاب التفسير والإعجاز العلمي في القرآن الكريم، د. مرهف سقا (٢٢١/١-٢٢٢).
(٣) انظر تفصيل ذلك بالأمثلة في بحثي: علاقة العلم التجريبي بمعجزات الأنبياء، منشور مجلة الدراسات الإسلامية، المجلد ٢٧، عدد ١، (ص١٥٦) وما بعدها.
(٤) التفسير اللغوي (ص٦١٧).

هو الوحيد ولا الأقوى، فينبغي أن يأخذ مكانه الطبيعي بين وجوه الإعجاز دون إفراط ولا تفريط.

الخاتمة

من أهم النتائج والتوصيات:

١ – الترجيح بالمكتشفات التجريبية في التفسير يندرج ضمن الأدلة العقلية الحسية.

٢ – وظف بعض علماء التفسير المتقدمين المكتشفات التجريبية في ترجيح بعض معاني الآيات، ويعبرون عنها بالحس والمشاهدة.

٣ – يقع التفاوت بين المرجحات فبعضها أقوى من بعض، والمرجح الواحد تتفاوت درجته في الترجيح بحسب ما احتف به من قرائن.

٤ – الأمور المؤثرة في الترجيح بالمكتشفات التجريبية في التفسير ترجع إلى أمرين: ما يتعلق بالاكتشاف ذاته، وما يتعلق بدلالة الآية عليه.

٥ – من الأمور المؤثرة في قوة الترجيح بالمكتشفات التجريبية اعتضاده بأدلة أخرى من الكتاب والسنة، أو اللغة، أو أقوال السلف.

٦ – ومن الأمور المؤثرة في ضعف الترجيح بالمكتشفات التجريبية عدم وضوح الاكتشاف أو ضعف الجزم به؛ كونه لا يزال محل النظر والتجربة.

٧ – ينبغي أن تكون العلاقة بين المفسرين وأصحاب الاكتشافات التجريبية تكاملية، فوظيفة العلماء التجريبيين تقريب الاكتشافات التجريبية للمفسرين بتوضيحها وشرحها وبيان قوتها من حيث التجربة، ووظيفة المفسرين الحكم بدلالة الآية القرآنية عليها أو عدم دلالتها، فالمفسر الذي يمتلك أدوات التفسير هو الأقدر على الترجيح في مثل هذه الأمور(١).

٨ – ينبغي أن يأخذ الترجيح بالمكتشفات التجريبية مكانه الطبيعي بين المرجحات في التفسير؛ فلا إفراط في الترجيح به عند أدنى دلالة أو علاقة، ولا تفريط باطراحه ورده وإهماله بالكلية مع وضوحه وظهوره واحتمال الآية

(١) الإعجاز العلمي إلى أين (ص٦٩ ، ٨٩-٩٠).

له وسلامته من المعارض.

٩ – لا يلزم من الحكم بعدم دلالة الآية على مكتشفٍ تجريبيٍ ما عدمُ صحته أو بطلانه، فقد يكون ثابتاً عند أصحاب العلم التجريبي، لكن لا يوجد حسب علمنا وفهمنا للقرآن الكريم ما يدل عليه، ولا يقتضي ذلك بطلانه.

المصادر والمراجع

١- أثر الاكتشافات العلمية في تفسير القرآن الكريم، صالح يحيى صواب، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية بجدة، العدد الخامس، جمادى الآخرة ١٤٢٩هـ.

٢- الإحكام في أصول الأحكام، لسيف الدين الآمدي، تعليق عبد الرزاق عفيفي، ط الأولى عام ١٣٨٧هـ.

٣- إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي الطوسي، دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة، د.ت.

٤- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود العمادي، تحقيق عبد القادر عطا، مكتبة الرياض الحديثة، ومطبعة السعادة، د.ت.

٥- إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول، لأبي عبد الله الشوكاني، دار المعرفة، بيروت عام ١٣٩٩هـ، مصورة عن طبعة الحلبي عام ١٣٥٦هـ.

٦- الاستقامة، لابن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، مكتبة ابن تيمية بالقاهرة، د.ت.

٧- الاستقراء والمنهج العلمي، محمود زيدان، دار الجامعات المصرية بالإسكندرية، عام ١٩٧٧م.

٨- الإسلام والعلم التجريبي، يوسف السويدي، مكتبة الفلاح بالكويت، ط. الثانية، ١٤٢٠هـ.

٩- الإعجاز العلمي إلى أين، مساعد الطيار، دار ابن الجوزي بالدمام، ط. الثانية، ١٤٣٣هـ.

١٠- الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، محمد بورباب، هيئة الإعجاز

العلمي في القرآن والسنة بشمال المغرب، ط. الأولى، ٢٠١٣م.
١١- البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، تحقيق عادل عبد الموجود وعلي معوض، دار الكتب العلمية ببيروت، ط. الأولى، عام ١٤١٣هـ.
١٢- البحر المحيط في أصول الفقه، لمحمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق عبد الستار أبو غدة وعبد القادر العاني، نشر وزارة الأوقاف بالكويت، ط الثانية عام ١٤١٣هـ.
١٣- بدائع الفوائد، لابن قيم الزوجية، تحقيق علي العمران، مجمع الفقه الإسلامي بجدة، ودار عالم الفوائد بمكة، ط. الأولى.
١٤- البداية والنهاية، لأبي الفداء بن كثير الدمشقي، تحقيق عبد الله التركي، دار هجر بالقاهرة، ط. الأولى، عام ١٤١٧هـ.
١٥- البسيط، لأبي الحسن الواحدي، تحقيق مجموعة من الباحثين، نشر عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤٣٠هـ.
١٦- تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة الدينوري، تحقيق السيد أحمد صقر، دار التراث بالقاهرة، ط. الثانية، ١٣٩٣هـ.
١٧- التبيان في أيمان القرآن، لابن قيم الجوزية، تحقيق عبدالله البطاطي، مجمع الفقه الإسلامي بجدة، ودار عالم الفوائد بمكة، ط. الأولى، ١٤٢٩هـ.
١٨- التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية بتونس، ١٩٨٤م.
١٩- التفسير بمكتشفات العلم التجريبي بين المؤيدين والمعارض، محمد الشايع، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، العدد الرابع، رجب ١٤١١هـ(ص١٩-٥٤).

٢٠- تفسير جزء عم، مساعد الطيار، دار ابن الجوزي بالدمام، ط. الثامنة، ١٤٣٠هـ.
٢١- تفسير ابن عرفة الورغمي، تحقيق جلال الأسيوطي، دار الكتب العلمية ببيروت، ط. الأولى، ٢٠٠٨م.
٢٢- التفسير العلمي للآيات الكونية، تاريخه ومواقف العلماء منه، بكر زكي عوض، حولية كلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية بجامعة قطر، ١٩٩٢، (ص٤٦٧-٥٠٦).
٢٣- التفسير العلمي للقرآن الكريم بين النظريات والتطبيق، هند شلبي، مطبعة تونس بقرطاج، ط. الأولى، ١٤٠٦هـ.
٢٤- تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، تحقيق عبد العزيز غنيم وآخرين، دار الشعب بالقاهرة، د.ت.
٢٥- تفسير القرآن الكريم (جزء عم)، لمحمد بن صالح بن عثيمين، دار الثريا بالرياض، ط. الثالثة، ١٤٢٤هـ.
٢٦- التفسير والإعجاز العلمي في القرآن الكريم، مرهف سقا، دار محمد الأمين بدمشق، ط. الأولى، ١٤٣١هـ.
٢٧- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، تحقيق عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة ببيروت، ط الأولى، ١٤٢٣هـ.
٢٨- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري، دار هجر بالقاهرة، ط. الأولى، ١٤٢٢هـ.
٢٩- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي، دار الشعب بالقاهرة، د.ت.
٣٠- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لجلال الدين السيوطي دار

المعرفة ببيروت، مصورة عن الطبعة الميمنية بمصر عام ١٣١٤هـ.

٣١- روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، لمحمود الآلوسي البغدادي، دار إحياء التراث العربي ببيروت، مصورة عن الطبعة المنيرية عام ١٣٥٣هـ.

٣٢- روضة الناظر وجنة المناظر، لابن قدامة المقدسي، تحقيق د. عبد الكريم النملة، مكتبة الرشد بالرياض، ط الثانية عام ١٤١٤هـ.

٣٣- زاد المسير في علم التفسير، لأبي الفرج بن الجوزي، المكتب الإسلامي ببيروت، ط. الأولى، ١٣٨٤هـ.

٣٤- سنن سعيد بن منصور، تحقيق سعد الحميد، دار الصميعي بالرياض، ط. الأولى، عام ١٤١٦هـ.

٣٥- السنن الكبرى، لأحمد بن الحسين البيهقي، نشر دار الفاروق بالقاهرة، مصورة عن طبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد بالهند، ط. الأولى، ١٣٤٧.

٣٦- شرح الكوكب المنير، لابن النجار محمد بن أحمد الفتوحي، تحقيق نزيه حماد ومحمد الزحيلي، مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى بمكة، عام ١٤٠٠هـ.

٣٧- صحيح البخاري، المكتبة الإسلامية بتركيا، نشر عام ١٩٧٩م.

٣٨- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، لابن قيم الجوزية، تحقيق د. علي الدخيل الله، دار العاصمة بالرياض، ط. الأولى عام ١٤٠٨هـ.

٣٩- الضوابط الشرعية للاكتشافات العلمية الحديثة ودلالتها في القرآن الكريم، راشد سعيد شهوان، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، الأردن، المجلد الثالث، عدد ٢، ١٤٢٨هـ، ص١١٧-١٥١.

٤٠- علاقة العلم التجريبي بمعجزات الأنبياء، عبدالسلام الجارالله، مجلة الدراسات الإسلامية بجامعة الملك سعود بالرياض، المجلد ٢٧، عدد ١، ١٤٣٦هـ.

٤١- العلوم البيولوجية في خدمة تفسير القرآن الكريم، عبدالحافظ حلمي محمد، مجلة عالم الفكر بالكويت، العدد الثاني عشر، مجلد ٤، ١٩٨٢م.

٤٢- فتح الباري، لابن حجر العسقلاني، تحقيق محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية بالقاهرة، د.ت.

٤٣- فضائل القرآن ومعالمه وآدابه، لأبي عبيد القاسم بن سلام، تحقيق أحمد بن عبد الواحد الخياطي، نشر وزارة الأوقاف بالمغرب، عام ١٤١٥هـ.

٤٤- في ظلال القرآن، لسيد قطب، دار الشروق ببيروت، ط. الأولى عام ١٩٧٢م.

٤٥- قواعد الترجيح عند المفسرين، حسين الحربي، دار القاسم بالرياض، ط. الأولى، عام ١٤١٧هـ.

٤٦- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، لأبي القاسم الزمخشري، تحقيق عادل عبد الموجود، وعلي معوض، مكتبة العبيكان بالرياض، ط. الأولى ١٤١٨هـ.

٤٧- الكيمياء العامة، المفاهيم الأساسية، ريموند تشانغ، ترجمة فواز الخليلي، مكتبة العبيكان بالرياض، ط. الأولى، ١٤٣٥هـ.

٤٨- اللباب في علوم الكتاب، لأبي حفص بن عادل الدمشقي، تعليق عادل عبدالموجود، دار الكتب العلمية ببيروت، ط. الأولى، ١٤١٩هـ.

٤٩- مباحث في إعجاز القرآن، د. مصطفى مسلم، دار المسلم بالرياض،

ط. الثانية، ١٤١٦هـ.

٥٠- مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، مكتبة المعارف بالرياض، ط. الأولى، ١٤١٣هـ.

٥١- مجموع الفتاوى، لأبي العباس أحمد بن تيمية، جمع عبد الرحمن بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة، عام ١٤١٦هـ.

٥٢- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي، تحقيق الرحالة الفاروق وآخرين، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بقطر، ط. الثانية، ١٤٢٨هـ.

٥٣- مذكرة في أصول الفقه، لمحمد الأمين الشنقيطي، المكتبة السلفية بالمدينة، د.ت.

٥٤- المستصفى من علم الأصول، لأبي حامد الغزالي الطوسي، دار إحياء التراث العربي ببيروت، مصورة عن طبعة بولاق بمصر عام ١٣٢٥هـ.

٥٥- معالم التنزيل، لمحيي السنة الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق محمد عبد الله النمر وزميليه، نشر دار طيبة بالرياض عام ١٤٠٩هـ.

٥٦- معاني القرآن، لأبي إسحاق الزجاج، تحقيق عبدالجليل شلبي، عالم الكتب ببيروت، ط. الأولى، ١٤٠٨هـ.

٥٧- معاني القرآن، ليحيى الفراء، عالم الكتب ببيروت، ط. الثالثة، ١٤٠٣هـ.

٥٨- معترك الأقران في إعجاز القرآن، لجلال الدين السيوطي، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية ببيروت، ط. الأولى، ١٤٠٨هـ.

٥٩- المعجم الكبير، لأبي القاسم الطبراني، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، دار إحياء التراث العربي، ط. الثانية عام ١٤٢٢هـ.
٦٠- معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر، دار عالم الكتب بالقاهرة، ط. الأولى، ١٤٢٩هـ.
٦١- مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد لعظيم الزرقاني، دار إحياء الكتب العربية بمصر، د.ت.
٦٢- موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة، يوسف الحاج أحمد، مكتبة ابن حجر بدمشق، ط. الثانية، ١٤٢٤هـ.
٦٣- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لأبي الحسن البقاعي، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد، ط. الأولى، ١٣٩٠هـ.
٦٤- النكت والعيون، لأبي الحسن الماوردي، مراجعة السيد بن عبد المقصود، دار الكتب العلمية ببيروت، ومؤسسة الكتب الثقافية ببيروت، د.ت.